

الحمد لله الذي جمعنا

لله

من كثر التابعين

عائشة بنت طلحة

www.dawafmemo.com

دار الكتب

بيروت - دمشق

(١)

عائشة بنت طلحة

• قال أبو زرعة الدمشقي :

عائشة بنت طلحة امرأة نجيلة ، تُحدِّثُ عن عائشة أم المؤمنين .

• وقال المعجلي :

عائشة بنت طلحة مدنية ، تابعة ، ثقة .

• وقال المزني :

لم يكن من النساء أعلم من تلميذات عائشة أم المؤمنين :

عمرة بنت عبد الرحمن ، وحفصة بنت سيرين ، وعائشة بنت طلحة .

عائشة بنت طلحة

اليث الزكي :

* هذه تابعة جليلة ، سليلة بيت كبير القدر في عصر النبوة ، نشأت في أحضان بيت النبوة برعاية عائشة بنت الصديق أم المؤمنين رضي الله عنها ، فكانت من أئبن النساء علماً وأديباً وكرماً .

* وقد حباها الله عز وجلّ جمالاً باهراً ، كأنما هي إحدى حور الجنة في هذه الدنيا .

* رآها سيّدنا أبو هريرة رضي الله عنه فقال : ما رأيتُ أحداً أجمل من عائشة بنت طلحة إلا معاوية على منبر رسول الله ﷺ .

* وقال لها سيّدنا أنس بن مالك رضي الله عنه : والله ما رأيتُ أحسن منك إلا معاوية على منبر رسول الله ﷺ ! فقالت : والله لأنا أحسن من النار في عين المقرور في الليلة القارّة^(١) .

* فمن أيّ البيوت انحدرت هذه التابعة ؟

* قبل أن ندخل في سيرتها ، دعونا نعرف شيئاً عن أسرتها العريقة في منابت الإسلام .

(١) تاريخ دمشق (ص ٢٠٩ و ٢١٠) . و «القارّة» : الباردة .

* فأبوها : سَيِّدَنَا طَلْحَةَ بِنَ عَبِيدِ اللَّهِ التَّمِيمِيِّ القُرَشِيِّ ، أَحَدَ العَشْرَةِ المَبْشُرِينَ بِالجَنَّةِ ، وَأَحَدَ الصَّحَابَةِ الْأَخْيَارِ الْأَجْوَادِ ، لَقِبَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِـ « طَلْحَةَ الجُودِ » وَ « طَلْحَةَ الحَيْرِ » وَ « طَلْحَةَ الفَيَاضِ » وَدَعَاهُ مَرَّةً « الصَّبِيحَ المَلِيحَ الفَصِيحَ » وَيَكْفِيهِ فخرًا أَنَّهُ أَحَدُ الثَّمَانِيَةِ السَّابِقِينَ إِلَى الإِسْلَامِ .

* وَأُمُّهَا : أُمُّ كَلثُومِ بِنْتِ سَيِّدَنَا أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ التَّمِيمِيِّ القُرَشِيِّ ، تَابِعِيَّةٌ جَلِيلَةٌ القَدْرِ ، وَلِدَتْهَا أُمُّهَا حَبِيبَةُ بِنْتِ خَارِجَةَ الأنصاريَّةِ بَعْدَ وِفَاةِ الصَّدِّيقِ ؛ وَأُمُّ كَلثُومِ هَذِهِ هِيَ الَّتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعائِشَةَ ابْنَتِهِ حِينَ حَضَرَتْهُ الوِفَاةُ : إِنَّمَا هُمَا أَخَوَاكِ وَأَخْتَاكِ .

قَالَتْ عَائِشَةُ : هَذِهِ أَسْمَاءُ قَدْ عَرَفْتُهَا ، فَمَنْ الأُخْرَى ؟! قَالَ : ذُو بَطْنِ بِنْتِ خَارِجَةَ - يَعْنِي زَوْجَةَ حَبِيبَةَ وَكَانَتْ حَامِلًا - قَدْ أَلْقَى فِي خَلْدِي أَنَّهَا جَارِيَةٌ .

فَكَانَتْ كَمَا قَالَ ، وَوُلِدَتْ أُمُّ كَلثُومِ (١) بَعْدَ وِفَاةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

* وَأَمَّا خَالَئُهَا : فَهِيَ الصَّدِّيقَةُ بِنْتُ الصَّدِّيقِ عَائِشَةُ أُمُّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

* وَخَالَئُهَا الأُخْرَى : ذَاتُ التَّطَاقِينِ أَسْمَاءُ بِنْتُ الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

* هَذِهِ الأُسْرَةُ الزُّكِّيَّةُ العَرِيقَةُ الَّتِي نَشَأَتْ فِيهَا عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ بِنِ

(١) اقرأ سيرة أم كلثوم بنت أبي بكر في هذا الكتاب .

عبيد الله ، أم عمران التيمية القرشية^(١) .

* * *

زواجها :

* تزوجت عائشة بنت طلحة ابن خالها ، تزوجته برأي خالتها
عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وزوجها هو عبد الله بن عبد
الرحمن بن أبي بكر الصديق ، ولدت له عمران - وبه كانت تكنى -
وعبد الرحمن ، وأبا بكر ، وطلحة ، ونفيسة^(٢) .

* وكان ابنها طلحة بن عبد الله من أجواد قريش ، ومن كرمائهم ،
وله يقول الحزين الديلمي يذكر نسبه وأمه :

وإن تك يا طليح أعطيني

عذافرة تستخف الضفارا^(٣)

فما كان نفعك لي مرة

ولا مرتين ولكن مرارا

أبوك الذي صدق المصطفى

وسار مع المهدي حيث سارا

وأنت يضاء تيمية

إذا نسي الناس كانت ضفارا^(٤)

(١) تاريخ دمشق (ص ٢٠٧) ، ونواحر المخطوطات (٧٠/١) ، وتقريب التهذيب
(٦٠٦/٢) .

(٢) جهرة أنساب العرب لابن حزم (١٣٧/١) .

(٣) العذافرة : العظيمة الشديدة من الإبل . والمذكر : عذافر ، وهو أيضاً الأسد .

(٤) تيمية : منسوبة إلى تيم . والمراد هنا : تيم بن مرة رهط أبي بكر الصديق رضي الله
عنه . و الضفارة : بالضم : الجواهر الخالص من التبر .

الرَّأْيَةُ النَّجِيَّةُ :

* كانت عائشة بنتُ طلحةَ أشبهَ النَّاسَ بِحَالَتِهَا عَائِشَةُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَحِبَّهُمْ إِلَيْهَا ، وَأَطْبَعَهُمْ عَلَى عِلْمِهَا وَأَدَبِهَا ، فَقَدْ تَلَمَذَتْ عَلَيْهَا ، وَرَوَتْ عَنْهَا الْحَدِيثَ النَّبَوِيَّ الشَّرِيفَ ، وَحَدِيثَهَا مَخْرَجٌ فِي الصُّحُوحِ (١) .

* وَقَدْ اقْتَبَسَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ مِنْ خَالَتِهَا عِلْمُهَا وَأَدَبِهَا وَخَالَاتِهَا ، فَكَانَتْ مِنْ فَضْلِيَّاتِ التَّابِعِيَّاتِ اللَّائِي رُوِيَ عَنْهُنَّ الْحَدِيثُ .

* رَوَى عَنْهَا الْحَدِيثَ ثَلَاثَةٌ مِنْ أَكْبَارِ التَّابِعِينَ ، وَجِلَّةِ الْعُلَمَاءِ ، مِنْهُمْ : ابْنُهَا طَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَابْنُ أُخْيَمِهَا طَلْحَةُ بْنُ يَحْيَى ، وَابْنُ أُخْيَمِهَا الْآخَرُ مَعَاوِيَةُ بْنُ إِسْحَاقَ ، وَالْمِنْهَالُ بْنُ عَمْرٍو ، وَفُضَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الْفُقَيْمِيُّ ، وَحَبِيبُ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ (٢) ، وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحَ ، وَعَمْرٌو بْنُ سَعِيدَ وَغَيْرَهُمْ .

* * *

أَحَادِيثُ شَرِيفَةٌ مِنْ مَرَوِيَّاتِهَا :

* مِنْ مَرَوِيَّاتِ عَائِشَةَ بِنْتُ طَلْحَةَ رَحِمَهَا اللَّهُ مَا أَخْرَجَهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ بِسَنَدِهِ عَنْهَا عَنْ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ :

(١) سير أعلام النبلاء (٣٦١/٤) .

(٢) حبيب بن أبي عمرة القصاب ، أبو عبد الله الحناني ، مولاهم الكوفي التابعي ، روى عن مجاهد ، وسعيد بن جبیر ، وعائشة بنت طلحة ، وأم الدرداء ، وروى عنه أكابر التابعين أيضاً . كان ثقة ، قليل الحديث ، روى نحو (١٥ حديثاً) قال ابن معين والنسائي : ثقة . وقال أحمد : شيخ ثقة . مات سنة (١٤٢ هـ) رحمه الله . (تهذيب التهذيب : ١٨٨/٢) و (تقريب التهذيب : ١٥٠/١) .

قُلْتُ : يا رسول الله ، إن صبيّاً من الأنصار ، لم يبلغ السنّ ،
عصفورٌ من عصافير الجنّة .

قال : « أو غير ذلك يا عائشة ، خلق الله الجنّة ، وخلق لها أهلاً ،
وخلق النار ، وخلق لها أهلاً وهم في أصلاب آبائهم » (١) .

* ومن مروياتها ما أخرجه أبو داود بسنده عن المنهال بن عمرو ، عن
عائشة بنت طلحة ، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت :

ما رأيتُ أحداً كان أشبه سمتاً ولا هدياً ودلاً برسول الله ﷺ من
فاطمة كرم الله وجهها ، كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها
وقبلها وأجلسها في مجلسه ، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده
فقبلته وأجلسته في مجلسها (٢) .

* ومما روي هنا في الصحاح ما أخرجه مسلم بسنده عن طلحة بن
يحيى بن طلحة عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت :

قال رسول الله ﷺ : « أسر عكُنَّ لحاقاً بي أطولُ كُنَّ يداً » .

قال : فكنن يتناولن أيتهن أطولُ يداً ، فكانت أطولنا يداً زينب —

(١) تاريخ دمشق (ص ٢٠٧) .

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢١٧) في الأدب ، ورواه الترمذي (٢٨٧٢) في المناف ،
والحاكم في المستدرک (١٥٢/٣) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين
ولم يخرجاه . السمعت والهدي والذل ، ألفاظ متقاربة المعاني ، ومعناها : الهيئة والطريقة
وحسن الخال .

بنت جحش زوج النبي ﷺ - لأنها كانت تعملُ بيدها وَتُصدقُ (١) .

* * *

عائشةُ في ميزانِ العلماءِ :

* لا شكُّ في أن امرأةً تابعةً كعائشةَ بنتِ طلحةَ ، غُذيتُ في بيتِ النبوةِ ، أن تكونَ من عليّةِ النساءِ علماً وقدرًا وصدقًا ، لذلك أتتِ عليها العلماءُ والكبراءُ ممن يعرفون روايةَ الحديثِ ، وممن لهم خبرةٌ بعلومِهِ ، ويكفيها فخراً أن إمامَ الجرح والتعديلِ وعَلَمَ الحديثِ والمحدثينَ في زمانه يحيى بن معين يوثقها ويحتجُّ بحديثها فيقول : الثقاتُ مِنَ النساءِ عائشةُ بنتِ طلحةَ ثقةٌ حجةٌ .

* بينما أتتِ عليها أبو زرعةَ الدمشقي ، وذكر فضلها وقَدَرها فقال : عائشةُ بنتُ طلحةَ ، امرأةٌ جليلةٌ تحدّثُ عن عائشةَ - أمِّ المؤمنين - وتحدّثُ الناسَ عنها بقَدَرها وأدبها .

* وفي الثناء عليها يقول العجليُّ : عائشةُ بنتُ طلحةَ مَدَنِيَّةٌ ، تابعةٌ ، ثقةٌ .

* وفي كتاب « الثقات » ذكرها ابنُ حبانٍ وأثنى عليها (٢) .

* وفي « البداية والنهاية » نقل ابنُ كثيرٍ عن شيخه المزيّ قوله : لم يكن في النساءِ أعلمُ من تلميذاتِ عائشةَ أمِّ المؤمنين : عمرة بنتِ عبد

(١) صحيح مسلم (١٤٤/٧) باب : من فضل زينب أم المؤمنين . وانظر كتابنا « نساءِ مبشرات بالجنة » (٢٧٢/١) ففيه تفصيل الحديث .

(٢) عن تاريخ دمشق (ص ٢٠٧ - ٢١٠) ، وتهذيب التهذيب (٤٣٧/١٢) .

الرحمن ، وحفصة بنت سيرين ، وعائشة بنت طلحة .

* * *

كِرَامَةُ لِعَائِشَةَ :

* كانت عائشة بنت طلحة - رحمها الله - على جانب عظيم من الذكر ، فكان لسانها لا يفتر عن التسييح بالعدو والآصال ، وأضحت نفسها صافية صفاء جعلها الوحيدة من بين بنات طلحة - رضي الله عنه - لتقوم بمهمة رأتها في منامها .

فقد أوردت المصادر^(١) - مع الجمع بينها - أنها رأت والدها بعد موته بيضع وثلاثين سنة فكان يقول لها :

يا بُنَيَّةُ أخرجيني من هذا الماء الذي يؤذيني ، فإن التُّرَّ قد آذاني .

فلما انتهت من نومها ، جمعت أعوانها ثم نهضت ، فركبت في حشمها ، ونشوهُ ، فوجدته صحيحاً كما دُفن لم تنحسر له شعرة ، وقد اخضرَّ جنبه كالسُّلقِ من الماء الذي كان يسيلُ عليه ، وتولى إخرجه عبد الرحمن بن سلامة التميمي ، ثم لَفَّهُ في الملاحفِ ، واشترت له داراً من دور آل أبي بكر بالبصرة ، فدفنته فيها ، وبنَّت حوله مسجداً ، فكانت المرأة من أهل البصرة تقبلُ بالقارورة من الباني فتصبها على قبره حتى تفرغها ، فلم يزلن يفعلن ذلك حتى صار تراب قبره مِسْكَاً أذفر ، فقبره هناك مشهور .

(١) انظر في هذا الطبقات الكبرى (٢٢٣/٣ و ٢٢٤) ، والمعارف (ص ٢٢٩) ، وسير أعلام النبلاء (٤٠/١) ، والعقد الفريد (٣٢٣/٤) ، وانظر هذا في ترجمة طلحة في الاستيعاب وأسد الغابة .

مع مصعب بن الزبير :

* لما توفي زوجها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق تزوجها أمير العراق مصعب بن الزبير القرشي الأسدي ، وكان مصعب فارساً شجاعاً ، جميلاً وسياً يُحسدُ على جماله ، وفيه يقول عبيد الله بن قيس الرقيات :

إنما مصعب شهابٌ من اللد
— تجلّت عن وجهه الظلماتُ
مُلْكُه ملكٌ عزّةٌ ليس فيها
جبروتٌ منه ولا كبرياءُ
يَتَقَى اللهُ في الأمور وقد
أفلح من كان همُّه الاتقاءُ

* وكان مصعب يتمنى أن يتزوج عقيلة قريش وجميبتها عائشة بنت طلحة ، ولذلك قصة تجمع بين الطرافة والرقّة ، وتدلُّ على علو الهمة .

ففي جلسةٍ بقناء الكعبة المشرفة جمعت عبد الله ، ومصعب ، وعروة ، بنو الزبير ، وعبد الله بن عمر - وقيل عبد الملك بن مروان - فقال لهم مصعب : تمنوا فقالوا : ابدأ أنت . فقال : ولاية العراق وتزوج سَكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، فقال ذلك وأصدق كل واحدٍ منهما خمسمئة ألف درهم وجهزها بمثلها .

وتمنى عروة بن الزبير الفقه ، وأن يُحمل عنه الحديث فقال ذلك .

وتمنى عبد الملك بن مروان الخلافة فناها .

وتمنى عبد الله بن عمر الجنة ، ولعلَّ الله عزَّ وجلَّ قد غفر له (١) .

* وتزوَّج مصعبُ عائشةَ ، وكانت أجمل نساء زمانها وأرأسهن ، حتى إنَّ حسانَ النساءِ في زمانها قد شهدن لها بالجمال ، ووصفنها بأحلى الصفات . وهذه شهادة عظيمة لعائشةَ ، فإنَّ المرأةَ أعرف بالمرأةَ وأبصر من الرَّجل بسرَّاتِ الحسنِ المكنون .

* * *

مِنْ طَرَائِفِ أَخْبَارِهَا :

* يبدو من أخبار عائشة أنها كانت قاسية بعض القسوة مع زوجها مصعب ، فكانت تخاصمه وتلاحيه أحياناً ، ولها في هذا أخبارٌ طريفةٌ ، ومواقفٌ طريفةٌ .

* وَرَدَ أَنَّهَا غَضِبَتْ يوماً على مصعب ، وكانت من أحبِّ النَّاسِ إليه ، فشكا ذلك إلى أشعب (٢) ، فقال : مالي إن رضيت ؟ .
قال : حكُّمك .

قال أشعب : عشرة آلاف درهم .

(١) انظر القصة بأساليب متقاربة في الخلية (١٧٦/٢) ، ووفيات الأعيان (٢٩/٣ و ٢٥٨) ، وعميون الأخبار (٢٥٨/١) ، والبداية والنهاية (٣٢٢/٨ و ٣٢٣) ، وسير أعلام النبلاء (١٤١/٤) ، وغيرها من المصادر .
(٢) هو أشعب بن جبير المدني ، الذي يُضرب المثل به في الطَّمع . روى عن عكرمة وأبان بن عثمان ، وسالم بن عبد الله ، وله نوادر مشهورة . توفي سنة (١٥٤ هـ) رحمه الله . (فوات الوفيات ٣٧/١) .

قال مصعب : هي لك .

فانطلق أشعبُ حتى أتى عائشةَ فقال : جُعِلْتُ فداك ! هذه حاجة قد عرضت لي تقضين بها حقِّي ، وترتهنين بها شكري .

قالت : وما عناك يا أشعب ؟ .

قال : قد جعل لي الأميرُ عشرة آلاف درهم إن رضيت عنه .

قالت : ويحك لا يمكنني ذلك .

قال : بأبي أنت فارضي عنه حتى يعطيني ، ثم عودي إلى ما عودك الله من سوء الخلق .

فضحكت منه ، ورضيتُ عن مصعب .

* وكانت عائشةُ رحمها الله كثيرة الإعجاب بنفسها ، كثيرة الدلال على زوجها ، يصلُ ذلك إلى حدِّ الإسراف أحياناً ، فمن حديث ذلك أنَّ مصعباً أتاها وهي نائمة متصبحة - نومة الغداة - ومعه ثمان مائة دينار ، فبصفتها عشرون ألف دينار ، ونثر اللؤلؤ في حجرها ، فقالت له : نومي كانت أحبَّ إليَّ من هذا اللؤلؤ^(١) .

* وشكا مصعب كثرة إعجابها بنفسها إلى عبد الله بن أبي فروة كاتبه ، لعله يجد له مخرجاً أو حلاً يخلصه من إسراف عائشة في الدلال والهجران .

فقال له : أفأذن لي في الحيلة ؟ .

(١) نوادر المخطوطات (٧٧/١) .

قال مصعب : نعم ، اصنع ما شئتَ فإنَّها أفضل من نلتُ من الدنيا . فأثاها ابنُ أبي فروة ليلاً ، فاستأذَنَ عليها .

فَقالت له : هذه السَّاعة ؟ .

قال : نعم ، ففرعتُ - ومعه رجلانِ أسودانِ ضخمان - فقالت له مولاة لها : ما شأنك ؟ .

قال : سُومُ مولاتك عائشة .

قالت : وما لها ؟ .

قال : أمرني هذا الفاجر ، أسفك من خَلَقَ اللهُ لدمٍ حرامٍ وأقتله للناس ، أن أحضَرَ بئراً وأدْفنها فيه حيَّة ، وقد حرصتُ - والله - أن يعفيني من هذا فأمر بقتلي .

قالت : فأنظري أذهب إليه .

قال بلهجة الجادِّ الحازم : هيهات لا سبيل إلى ذلك أبداً . ثم قال للأسودين بنيرة أشدَّ حزماً : احفيرا .

فبكت عائشة ورأت الجدُّ منه .

وقالت : يا بن أبي فروة ، إنك لتقتلني ؟ .

قال : ما منه بدُّ ، وإني لأعلمُ أن الله سيخزيه ، - أو سيجزيه - بعدك : ولكنَّه قد غضبَ وهو كافرُ الغضب .

قالت : فأني شيءٌ أغضبه ؟ .

قال : في امتناعك عليه ، وقد ظنَّ أنَّك تيعضينه ، وأنك تتطلعين إلى

غيره فقد جُنَّ .

فقلت : أذكرك الله إلا عاودته .

قال : أخاف أن يقتلني .

فبكت وجواربها ، فلما رأى ذلك ، ولس أنها استكانت ؛ قال لها :
قد رقتُ وأنا أغررُ بنفسي فما أقولُ لمصعب ؟ قالت : اضمن عني أنني
لا أعود أبداً - أي إلى المخالفة - قال : فأعطيني الموائيق ، فأعطته .

فقال للأسودين : مكانكما .

ثم أتى مصعباً فأخبره بما جرى ؛ فقال له مصعب : استوثق منها
بالإيمان .

فأتاها فقال : إنه قد سكنَ بعضُ السُّكون ، فاحلفي لي أن لا
تخالفيه ، فوثقتُ له ، وصلحتُ لمصعب بفضل ذلك الدرس البديع
الطريف^(١) .

وأخبارها في هذا كثيرة لا يتسع المقام لذكرها هنا .

* * *

بَعْدَ مُصْعَب :

* بعد مقتل مصعب عنها : تزوجها عمر بن عبيد الله بن معمر
الثيمي ، وأقامت معه ثماني سنين ، حيث مات سنة (٨٢ هـ) فبكته

(١) عن نوادر المخطوطات (٨٠/١) بتصرف يسير جداً .

قائمة . وكانت العرب إذا ناحت المرأة على زوجها قائمة علموا أنها لا تزوج بعده .

* ومنذ أن تأيمت ، كانت تقيم بمكة سنة ، وبالمدينة سنة ، وتخرج إلى مال لها بالطائف تدير أمورها بنفسها ، وكان لها بذلك أخبار مع الشعراء ، تدل على دقة فهمها وحسن رأيها وجودة أدبها ، رحمها الله .

* * *

من أخبار جَاهِهَا وفَخْرَهَا :

* كانت عائشة بنت طلحة في بسطة من المال يُحسب حسابها ، وكانت تحب أن ترى أثر نعمة الله عليها . فقد ورد أنها لما أرادت الحج حملت متاعها ، وما تحتاج إليه على ستين بقالاً من بقال الملوك عليها الهوادج والرُحائل ، فقال عمرو بن الزبير أحد الفقهاء السبعة :

عائش يا ذات البغال الستين

أكل عام هكذا تحجين ؟

(١) الفقهاء السبعة : مصطلح ظهر عند أهل المدينة ، أرادوا به الفقهاء المرزبين بالمدينة من التابعين ، ويبدو أنهم كانوا يتشاورون ويصدرون عن رأي فيما يعرض عليهم من قضايا . وهؤلاء الفقهاء السبعة - ومن في طبقتهم ممن عاصرهم - حملوا المشعل من الصحابة ، وأضاءوا فيه بقية القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة ، وكانوا هم المدرسة التي كوّنت الفقه المدني وجعلت له كياناً متميزاً أساسه الإفتاء بما أفتى به السابقون من الصحابة الكرام بالإضافة إلى الاجتهاد بأرائهم . والفقهاء السبعة هم : سعيد بن المسيب ، عمرو بن الزبير ، أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، القاسم بن محمد بن أبي بكر ، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، خارجة بن زيد بن ثابت ، وسليمان بن يسار . رحمهم الله .

* وهذه الصفات جعلت عائشة تفخر على مَنْ سواها بما أنعم الله عليها من نعم ظاهرة وباطنة ، فقد ورد أنها حجّت مرة مع - ضرتها - سكينه بنت الحسين ، وكانت عائشة أحسن آله وثقلاً ، فقال حادياها يحدو بقول عروة بن الزبير :

عائش يا ذات البغال السنين

أكلّ عام هكـذا تحجـجين؟

فشق ذلك على سكينه ، ونزل حادياها فقال :

عائش هذه ضرة تشكوك

لولا أبوها ما اهتدى أبوك

فأمرت عائشة حادياها أن يكف ، فكف احتراماً لسكينه .

* ويبدو من أخبار عائشة رحمها الله أن حبّ الفخر كان من سجاياها ، فكانت تفاخر أمها ، وقد حدّث إسحاق بن طلحة - وهو أخوها لأبيها - قال :

دخلت على أم المؤمنين - عائشة - وعندها عائشة بنت طلحة وهي تقول لأُمها أم كلثوم بنت أبي بكر : أنا خير منك ، وأبي خير من أبيك .

قال : فجعلت أمها تُنسبها وتقول : أنت خير مني ؟! فقالت عائشة زوج النبي ﷺ : ألا أفضي بينكما ؟ قالتا : بلى .

قالت : فإنّ أبا بكر دخل على رسول الله ﷺ فقال له : « أنت يا أبا بكر عتيق الله من النار » ، فمن يومئذ سُمي عتيقاً .

ودخل طلحة بن عبيد الله عليه فقال :

« أَنْتَ يَا طَلْحَةَ مِمَّنْ قَضَى نَجْبَهُ ^(١) » .

* * *

مَعَارِفُهَا وَعِلْمُهَا :

* قُلْتُ أَنْ نَجِدَ امْرَأَةً أُوتِيَتْ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ، وَرُزِقَتْ حِطًّا مِنَ الْجَمَالِ ،
أَنْ تَهْتَمَّ بِالْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ ، غَيْرَ أَنَّ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ وَمَنْ فِي طَبَقَتِهَا مِنَ
النِّسَاءِ كُنَّ يَخْتَلِفْنَ عَنْ غَيْرِهِنَّ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنْ يَشْغَلُهُنَّ الدِّيَابِجُ وَالْحَلِيَّ
وَالْحُلَلُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ .

* فَقَدْ كَانَتْ عَائِشَةُ رَحِمَهَا اللَّهُ ذَاتَ عَقْلِ وَبَدِيهَةٍ حَاضِرَةٍ ، وَجِرَاءَةٍ فِي
الْكَلَامِ ، وَسَعَةٍ فِي الْمَعَارِفِ الْمُنْتَوِعَةِ ، وَمِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي تَشْهَدُ لَهَا بِالْعِلْمِ
وَالْجِرَاءَةِ عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ ، مَا رُوِيَ أَنَّهَا وَفَدَتْ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
بِدَمَشْقٍ .

فَقَالَ لَهَا : مَا أَوْفَدَكَ يَا عَائِشَةُ ؟ .

قَالَتْ : حَبَسَتِ السَّمَاءُ الْمَطَرَ ، وَمَنَعَ السُّلْطَانُ الْحَقَّ .

قَالَ : فَإِنِّي أَصِلُ رَحِمَكَ ، وَأَعْرِفُ حَقَّكَ .

ثُمَّ بَعَثَ إِلَى مِشَايِخِ بَنِي أُمَيَّةٍ فَقَالَ : إِنَّ عَائِشَةَ ابْنَةَ طَلْحَةَ التَّمِيمِيَّةَ
عِنْدِي ، فَاسْمُرُوا عِنْدِي اللَّيْلَةَ ، فَحَضَرُوا ، فَمَا تَذَاكَرُوا شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ
العَرَبِ وَأَشْعَارِهَا وَأَيَامِهَا إِلَّا أَفَاضْتُ مَعَهُمْ فِيهِ ، وَمَا طَلَعَ نَجْمٌ وَلَا غَارَ إِلَّا
سَمَّيْتُهُ . فَقَالَ لَهَا هِشَامٌ مَتَعَجِبًا : أَمَّا الْأَوَّلُ - أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا -
فَلَا أَنْكَرُهُ ؛ وَأَمَّا النَّجُومُ فَمِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا ؟

(١) تاريخ دمشق (ص ٢١٠) .

قالت : أخذتها عن خالتي عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها . فأمر لها هشام بمئة ألف درهم ، وردّها إلى المدينة ردّاً جميلاً معززةً مكرّمةً (١) .

• وظلّت عائشة بنت طلحة من أندر نساء عصرها حسناً وجمالاً ، وهيئةً وأدباً ، وعفةً وعلماً ، إلى أن توفيت سنة (١٠١ هـ) .

رحمَ اللهُ عائشة بنت طلحة ، وتغمدها برحمته .

* * *

(١) أعلام النساء (١٥٤/٣) .